Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعلنا نلمس هذا فى كيمياء السعادة ، حيث ان صاحب النظر يكتشف منذ الوصول الى السماء الأولى أنه والتابع المحمدى ليسا على قدم المساواة ، وأن هذا الأخير ذو مكانة أرفع ، لذا يقرر اتباع الرسول لدى عودته ، ولكنه لا يتوقف لأن هذا على ما يبدو غير ممكن ، فالرحلة لابد من اكتمالها : « فاذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية وفتح لهما باب السماء الدنيا تلقى المقلد [التابع المحمدى] آدم ﷺ ففرح به وأنزله الى جانبه ، وتلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر ... فاغتم صاحب النظر وندم حيث لم يسلك على مدرجة ذلك الرسول ، واعتقد الايمان به وأنه اذا رجع من سفرته تلك أن يتبع ذلك الرسول ويستأنف من أجله سفرا آخر » (١١٣) .

من الملاحظ أن المعراج الصوفى يمتح من المعراج النبوى ، فنجد الاعداد للرحلة مثلا يأخذ فى الأخير شكل التطهير حيث يتم التخلص من حظ الشيطان ، وهذا ما أفاد منه المعراج الصوفى حيث أصبح يشير الى التخلص من عنصر النار ، أى أصبح احدى مراحل حل التركيب ، وهو ما أشار اليه فى معراج الاسرا بقوله : « فكشف عن سقف محلى ، وأخذ فى نقض وحلى » (١١٤) .

تكاد معظم الوظائف فى نصوص المعراج تخضع للنظام المقترح فى هذه الدراسة ، ولكن بعض الوظائف تحتمل بعض التغيير فى مواقعها ، كما نرى فى وظيفة امتطاء البراق . ان امتطاء البراق يأتى فى معراج الاسرا بعد التخلص من عنصر النار : « ثم زملنى بثوب المحبة ، وامتطيت براق القربة » (١١٥) . أما فى معراج الفتوحات فانه يأتى قبل التخلص من أى عنصر . وفى معراج التنزلات الموصلية لا يشير الى البراق مباشرة ، وانما يشير اشارة مجازية الى ركوب الطريق واتخاذه سلما للعروج : « فعندما تجردت عن هذه السدفة الترابية لاحت لنا أعلام المشاهد الغيبية ، فركبنا الجادة ، وسألنا المادة ، واستعدنا من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وروعة الحذر ، وقطعناها علما علما ، واتخذناها لمعراجنا سلما » (١١٦) . ولكنه يظهر مرة أخرى بشكل مباشر قبل سماء الخليل (السابعة) (١١٧) .

لعلنا لاحظنا ثباتا فى الوحدات الوظيفية الأساسية فى معارج ابن عربى سببه الوحدة البنائية للعالم عنده . وان التغريب المخل بالنظام داخل متن الحكاية ـ الذى أشار اليه الشكلانيون الروس (١١٨) ـ هو بالضبط ما لا يسعى اليه ابن عربى ، فهو يريد أن يقدم أحداثا ـ على الرغم من أنها عجيبة ـ تدعى لنفسها الالفة والتناغم مع أحداث الكون ، كما أنها تتسم بنوع من الحتمية .